# ريموند لول ومدرسة« ميرمار » لتعليم اللغة العربية في العصر الوسيط
# (بين التحصيل العلمي وخدمة التنصير)

Raymond Loll and Mermar School for Arabic Language Education in the Middle Ages.
(Between educational attainment and Christianization)

**د/ عبد القادر شريف**
**أستاذ محاضر"ب"**
Cherifaek01@gmail.com
**جامعة الجزائر2أبوالقاسم سعدالله**

تاريخ الإرسال: 2019/02/08 تاريخ القبول:2019/02/13 تاريخ النشر: 2019/03/19

**الملخص:** تركت اللغة العربية بصمة في اللغات الأوروبية،لاسيما في المجالات العلمية،الأمر الذي يؤكد الجذور العميقة لها في بناء تاريخ الحضارة المشتركة. كما أسهمت اللغة العربية في تشكيل الثقافة في أوروبا،بحيث تركت آثارها الفنية واللغوية والعلمية،وأصبحت اللغة العربية لغة عدد كبير من الكتاب،والعلماء،والرهبان،لالشئ إلا لأنها كانت لغة العلم والمعرفة.الشئ الذي دفع إلى تأسيس مدارس لتعليمها في أوروبا خلال العصر الوسيط ،ومن ذلك مدرسة ميرمار في ميورقة.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة العربية-مدارس شرقية-الرهبان-رايمون لول-التنصير

***Abstract :****Arabic has left its mark in the European languages, especially in the scientific fields, which confirms its deep roots in building the history of common civilization .Arabic also contributed to the formation of culture in Europe, leaving its artistic, linguistic and scientific effects. Arabic became the language of a great number of writers, scholars and monks, except because it was the language of science and knowledge. This led to the establishment of schools for teaching in Europe. Mermar School in Mireka.*
***key words*** *: Arabic - Oriental schools - monks - Raymond Lol – Christianization*

## مقدمة :

إن التفاعل الثقافي بين العرب والأوربيين ازدهر بشكل كبير في الأندلس ،وأثناء الحروب الصليبية في المشرق، وما يعكس هذا التفاعل هو الانتشار الواسع للغة العربية في أوساط المثقفين الأوربيين والمستعربين الإسبان، بالإضافة إلى إطلاع المفكرين الأوربيين على الثقافة العربية الإسلامية مع إقبالهم على ترجمة معارف العرب من اللغة العربية إلى لغاتهم اللاتينية.[1]

هذا الانتشار أدى إلى ازدهار اللغة العربية وانتشارها في الأندلس، ثم نقلها إلى الإمارات الأوربية الأخرى ما جعل هؤلاء يسعون إلى تعلمها. ولم تنحصر اللغة العربية في الأندلس فقط وإنما أصبحت لغة التواصل والحوار بين المسلمين والأوربيين.[2]

أما الفلاسفة والمفكرون الأوربيون في العصر الوسيط ،فكان تعلم اللغة العربية شرطا من شروط المعرفة، فهذا رايموند لول الإسباني، يكتب العربية كما يكتب لغته الكتالونية، كما كان يستعملها في مجادلاته مع المسلمين وفي التبشير في بلاد المغرب الإسلامي.[3]

هذا الأمر الذي عكس مدى أهمية اللغة العربية في نقل العلوم والمعارف ،ودفع العديد من الممالك الأوربية إلى ترجمة الكتب من العربية إلى اللغة اللاتينية ،وشجع بالمقابل علماء ومفكري ورجال

الـدين الأوروبيـين الإهتمـام بالعربيـة ،وتعلمهـا ،والحـديث بهـا والـدعوة إلـى تأسـيس مـدارس خاصـة لدراستها.

## 1. حياة ريموند لول ومؤلفاته:

### أ. مولده:

ولـد ريمـون لـول في مدينـة ميورقـة إحـدى الجـزر الشـرقية (جـزر البليـار) في حـدود سـنة (1235م-1315م/632هـ-714هـ)، مـن أبـوين همـا رامـون وإليزابيـث ينتميـان لعـائلتين نبيلتـين في مدينـة أراغونـة،[4] قضـى لـول مطلـع حياتـه في ميورقـة وتربـى تربيـة وثقافـة الـبلاط، في عـام 1246م أختير مرفقـا ومرشـدا للأميـرين الصـغيرين بيـدرو وخـايمي ابني الملـك خـايمي الأول. انغمـس في اللهـو والمجـون والفجـور، حيـث تـزوج مـن فتـاة تـدعى بلانكـا picany Blanka في سـنة 1256م وهـي سـليلة إحـدى الأسر النبيلة وأنجب منها طفلين هما "دونيك "وماجدولين".[5]

في سـنة 1263م تـرك حيـاة الخلاعـة ووهـب نفسـه لخدمـة المسـيحية، أو مـا يسـمى بالتوبـة الشخصية واللقاء مع الله.[6]

في الفتـرة مـا بـين 1264م-1273م دخـل في التـدريب الروحي والصـلاة والتأمـل، حيـث كـرس حياتـه للحيـاة اللاهوتيـة ليسـتقر علـى فكـرة حداثـة عـين المسـيحيين إلـى المسـيحية، بعـدما بـدأ حياتـه التبشيرية منذ 1290م، ويقال أنه توفي حوالي 1319م.[7]

### ب.مؤلفاته:

خلـف ريمونـد العديـد مـن المؤلفـات التي بلغـت حـوالي 280عمـلا ،شـملت مواضـيعها مجـالات عديـدة مثـل الكـون والطبيعـة ،القـانون ،الطـب ،الفلـك ،الموسـيقى ،الرياضـيات والمنطـق ،علـم الـنفس.هـذه المؤلفـات كتبهـا بعـدة لغـات كالكاتالونيـة أواللاتينيـة أو العربيـة ،وكـان يسـعى مـن خلالهـا إلى خدمـة الكاثوليكية.[8]

ومـن أهـم الأعمـال التي اشـتهر بهـا هي"الفـن العظـيم"أو"الفـن الأعظـم" ،وأعمـال أخـرى في الفلسـفة منهـا "جدليـة ضـد فلسـفية ابـن رشـد" بالإضـافة إلـى كتـاب "الـوثني والحكمـاء الثلاثـاء"،كمـا كتـب في التصوف ومن ذلك كتاب "الصدق والحبيب" ،وكتاب العبادة الذي كتبه باللغة العربية.[9]

## 2. فكرة إنشاء مدرسة ميرمار لتعليم العربية:

إن فكـرة دراسـة وتعلـم اللغـة العربيـة بـدأت منـذ سـنة 1236م وهي إحـدى مبـادئ الإخـوة المبشـرين التي وضـعت علـى عاتقهـا مسـألة تعلـيم اللغـة العربيـة وعلـوم الـدين الإسـلامي حتى تسـتطيع تنصـير المسـلمين وإدخـالهم إلى المسـيحية، وتعـود الجـذور الأولى لإنشـاء مـدارس حـوالي عـام 1250م، خاصـة بعد ترجمة القرآن الكريم وبداية تسرب الأفكار الفلسفية الإسلامية إلى إسبانيا ثم أوربا.[10]

اعتقـد ريمونـد لـول أن التعلـيم هـو أهـم السـبل وأقـوى الوسـائل لـدعم منهجـه التبشـيري، وتعـد اللغـة مـن أهـم المسـائل التي ركـز عليهـا "لـول" لأجـل السـير لخطـوات صحيحة في منهجـه، ويعـد مـن

الـرواد في إدراك أهميـة الـدعوة إلى أن معرفـة لغـة الخصـوم وثقافـاتهم يعـد أمـرا ضـروريا مـن أجـل إقامـة حـوار بنـاء معهـم، ممـا جعلـه يقتنـع أن إقنـاع الشـعوب بمؤلفاتـه إلا بـأن يـتعلم العديـد مـن اللغـات، فأقبـل بالفعـل على دراسـة اللغـة العربيـة وسـعى في إتقانهـا على أكمـل وجـه، ولأجـل ذلـك قـام بشـراء عبـدا مسـلما ليعلمـه اللغـة العربيـة والفلسـفة الإسـلامية، وقـد جلـس لـذلك لأزيـد مـن 9 سنوات حتى أتقنها ونهل خلالها من الثقافة الإسلامية لاسيما الفلسفة.[11]

لـم يقتصـر الأمـر على رغبتـه على تعلـم اللغـة العربيـة فقـط لكنـه طالـب بإصـدار مرسـوم بـابوي يقضـي بتأسـيس مدرسـة لـتعلم اللغـة العربيـة، وفعـلا طلـب مـن الملـك خـايمي الأول[12] في فتـرة مـا بـين (1275/1274م) أن يؤسـس مدرسـة في ميورقـة مـن أجـل تعلـم 13 راهبـا اللغـة العربيـة، وفي 17 أكتـوبر 1276 صـدر مرسـوم (viterboفيتربـو) مـن البابـا يوحنـا (21) بالموافقـة على إنشـاء كليـة ميرامـار في ميورقـة والتي ظلـت تعمـل حتى سـنة 1292م وقـد توقفـت بسـبب النـزاع السياسـي بـين بيـدرو الثالث وخايمي الثالث مما دفع بيدرو الثالث إلى غلقها نكاية في لول.[13]

إن دعـوة رايمـون لـول إلى إنشـاء مدرسـة لتعلـيم اللغـة العربيـة كانـت فكـرة صـائبة بالنسـبة لأهدافـه التنصـيرية، ولا يخامرنـا الشـك في أن مؤلفاتـه الفلسـفية والدينيـة هـي مـن نتـائج معرفتـه الجيدة بالثقافة الإسلامية واطلاعه الواسع على خصوصيات المسلمين.[14]

لـم يقـف دور رايمـون عنـد إنشـاء هـذه المدرسـة بـل تكلـف بمهمـة الراعي الفكـري لدراسـة اللغـات الشـرقية، التي نالـت اهتمامـا متزايـدا مـن الدراسـات، بحيـث اسـتطاع إقنـاع العديـد مـن أصـحاب القرار في البابوية بالمشروع.[15]

وقـد تـم في مجمـع فيينـا الكنسـي المسـكوني سـنة 1312م، إقـرار تأسـيس كراسـي اللغـات الشـرقية، وهي اللغـة العربيـة، والعبريـة والإغريقيـة والسـريانية في جامعـة بـاريس وأكسـفورد وبولونيـا وسـلمنكة وروما، وكـان قـد طالـب بتدريسـها لأسـباب تبشـيرية منـذ زمـن، كمـا اقترح على "بطـرس دوبـوا" إرسـال بعثات تبشيرية، وكان الهدف من ذلك انتشار اللغة بكافة أشكالها في العالم الأوربي بوجه عام.[16]

كمـا انخـرط في المكتبـات الإسـلامية يسـتخدم مصـطلحات المسـلمين ليضـللهم، لكنـه فشـل فـدعى إلى شـن الحمـلات المسـلحة والحـروب الصـليبية لأجـل التبشـير بالمسـيحية، كمـا أن يتحقـق الفـرد والفكري عقب الغزو العسكري.[17]

ويعـد مطلبـه هـذا نـواة حقيقيـة لحركـة الاستشـراق نتيجـة اهتمـام الأمـراء والملـوك في إنشـاء كراسي للدراسات الشرقية في الجامعات الأوربية.

### 3- مهام المدرسة وأهدافها:

إن التنشـئة بهـذه المدرسـة كانـت تهـدف إلى تربيـة جيـل يتفـانى في خدمـة التبشـير عـن طريـق المعرفـة بعقيـدة الآخـر، خاصـة بعـد أن تـرجم القـرآن، وتـم التعـرف على مبـادئ العقيـدة الإسـلامية، ومن وسائل هذه التنشئة التدريب على الخطابة والإقناع في الحوار والمناقشات.[18]

لقد اتخذ شرط تعلم اللغة العربية لكل من يريد التخصص في التبشير، بل عمدوا إلى إنشاء مدارس خاصة لتعليم الصبيان اللغة العربية.[19]

ومن هذا المنطلق لم يكن اهتمام الأوربيون بالعربية وبتراثها الديني من باب الإعجاب والاهتمام الحيادي بها، بل كانت دراستهم لذلك من زاوية البحث عن مكامن القوة والضعف في الإسلام التماسا لحجج وأدلة يقارعوا بها الإسلام وأهله.[20]

ولم يكن الإعجاب بالثقافة العربية دافع إلى دراسة كتب المسلمين في كل الحالات، ومن البديهي أن خصوم الإسلام لم يكن لهم غنى عن تحصيل قدر كاف من العلم به، حتى تتسنى لهم منازلة المسلمين، وأنه لا بد لتحصيل هذا العلم من معرفة اللغة التي تحمل كتبه، ومن أولائك الذين حركهم ذلك الدافع الجدلي إلى دراسة اللغة العربية رايموند مارتن (1230م-1286م) ورايموند لول (1235م-1315م).[21]

ومن جراء هذا التأثير الكبير للثقافة العربية على الإسبان والأوربيون عامة، فقد بادروا بتأسيس المؤسسات التعليمية في جميع أنحاء إسبانيا لتعليم العربية والعلوم الأخرى بغض النظر عن أهدافها الحقيقية والتي ربما كانت بقصد التبشير بالمسيحية من قبل المتعلمين بتلك المؤسسات العلمية ومن هذه المؤسسات مدرسة ميرمار والتي مهدت لإنشاء مدرسة الدراسات الإسلامية في مدريد.[22]

إن فكرة رايموند لول في إنشاء المدرسة هو تعليم العربية والإقبال عليها على اعتبار أنه عملا مقدسا مباركا، وهو ما تجلى في أعماله وكتاباته، وكان يرى أن ذلك يتطلب تسخير كافة الطاقات والجهود الفردية (تكوين مبشرين) والجماعية (تشجيع من الكنيسة والدولة)، وهذا المشروع قال لابد من أن يتعدى ذلك خارج إسبانيا وبالأخص في شمال إفريقيا وكان بنفسه يقوم بالوعظ والمعالجة والخطابة في مساجد الأندلس والحوار التبشيري في تونس والجزائر.[23]

وحاول العمل بطريقتين متوازنتين ومتكاملتين، تمثلت الأولى في المجادلة والنقاش بالاعتماد على الحجج العقلية الفاعلة والمنتجة التي تعلمها من المسلمين مباشرة حيث عايشهم في ميوركا والأندلس وبلاد المغرب، كما حاول التركيز على موضوع الحوار السلمي مع المسلمين والإصرار على شرح وتفسير التثليث.[24]

وتعد مناظراته ضد علماء تونس والجزائر من نتائج تعلمه للغة العربية والفلسفة لإقناعهم بحججه، خاصة وأنه كان متأثرا بأفكار يحي بن عدي الذي يعد من أشهر المجادلين النصارى العرب، وكان فيلسوفا منطقيا يعيش في بغداد، كما عرف عددا كبيرا من المتصوفين المسلمين كابن سبعين، والششتري، وابن هودا المتقشف وأبي مدين، والعفيف التلمساني ومحي الدين بن العربي.[25]

كما يمكن لنا أن نتساءل عن اللغة التي كان يدرس بها في هذه المدرسة، بالعودة إلى المصادر التاريخية والكتابات الشخصية لرايمون لول، فاللغة اللاتينية هي الأقرب بالإضافة إلى القطلانية، على أن اللغة العربية هي الأساس لأنها المقصودة في العملية، والقضية الأخرى التي لابد من الإشارة إليها هي عملية اختيار الأساتذة الذين لهم دراية باللغة العربية من أجل تعليمها، الأمر الذي يدفعنا إلى معرفة المواد التي يتم تلقينها للطلاب في مدرسة "ميرامار"، إن اختيار الطلبة كان على أساس ديني على اعتبار أنهم من رجال الدين وعلى دراية بالمسيحية ومبادئها، لأن أهداف المدرسة هي التنصير، لكن هذا لم يمنعهم من إدراج عدة مواد لتدريسها على ارتباط مباشر باللغة العربية ومن ذلك قواعد اللغة، علوم القرآن، الفلسفة وعلم الكلام حتى تبين لهم مناظرة المسلمين ودحضهم بالحجج على حسب زعمهم.[26]

وتجدر بنا الإشارة إلى أمر آخر مهم يخص هذه المدرسة هو عدد الطلبة الذين تم قبولهم لتعلم اللغة العربية، فحسب الروايات بلغ عددهم في البداية 13 راهبا، ويكون رايمون لول هو الذي تولى أمر تدريسهم العربية والمواد الأخرى، مع العلم أنه قضى تقريبا عشر سنوات في تعلمها بنفسه بمساعدة أحد العبيد كما ذكر من قبل.[27]

إن فكرة تعلم اللغة العربية والعلوم الأخرى المرتبطة بها ليست وليدة رايمون لول، ولكن هناك الكثير من سبقوه إليها، ولعل البدايات كانت عن طريق ترجمة القرآن الكريم.[28]

ولكن مع حلول سنة 1434م أعيد النظر في ذلك المرسوم الكنيسي بعد انعقاد مجمع بال، وبعدها ضعف الحماس لدراسة وتدريس اللغة العربية خلال عصر النهضة.[29]

ويبدوا أن مشكل نقص أدوات الدراسة والبحث عن المعاجم والقواميس ومخطوطات في البلدان الأوربية العربية حتى القرن 14م أدى إلى تقلص الاهتمام باللغة العربية التي تبقى المفتاح الأساسي للولوج إلى الثقافة العربية الإسلامية وإحراز تقدم في موقف الغرب اتجاه الإسلام، على الرغم من أن بعض الأوساط الطبية والفلسفية كانت ما تزال تحافظ على تدوين مهم في مجال اهتماماتها.[30]

وبعد الفترة التي شهدت ازدهار الحركة التبشيرية مع رايمون لول ورامون بنا فورث وآخرون، تلك الشهادات التي خلفها المثقفين المعاصرين الذين تطرقوا للمسألة، بشكل كبير خلال عصر النهضة، فقد كتب مارتينزسيكولو وهو أحد الإنسانيين العقليين أنه في سنة 1427م كانت اللغتين العربية واللاتينية تعتبر ضمن اللغات البربرية.[31]

في حين يبدوا أنه كان للعرب تأثير بارز في التعريف بجغرافية الإسلام وذلك من خلال أعمال حسن الوزان "ليون الإفريقي" (1495م-1550م) على العكس ازداد اهتمام الإيطاليين بتعليم اللغات اللاتينية وخاصة العربية رغبة في توحيد الكنائس، فنظمت حركة التأليف والترجمة بالعربية.[32]

## خاتمة:

سخرت البابوية جميع امكانياتها المادية والبشرية،من أجل نشر المسيحية خاصة في البلاد الإسلامية ومن ذلك منطقة المغرب الإسلامي.سعت المنظمات الدينية التي تأسست في أوروبا منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي،مثل الدومنيكان والفرنسسيكان ،إلى تطبيق مشروع البابوية الرامي إلى تنصير المنطقة على أرض الواقع واتخذت لأجل ذلك جملة من التدابير وفق أساليب متنوعة ،منها افتكاك الأسرى ومد يد العون إليهم برعايتهم روحيا وماديا.هذا بالإضافة إلى الجهر بالمسيحية أمام المسلمين وفي ديارهم،كما فعل رايمون لول في تونس وبجاية.

وبعد ذلك انتقلوا إلى طريقة أخرى تمثلت في محاولة تعلم لغة المسلمين ويكون ذلك عن طريق تأسيس مدارس والهدف منها القدرة على مناظرتهم والتشكيك في ديانتهم ،ثم تنصيرهم.

لكن هذه الأساليب والجهود التي بذلتها الكنيسة من أجل تحقيق أهدافها وهو تنصير المنطقة لم تنجح بسبب تشبع أبناء المنطقة بعقيدتهم ووقفوا أمام هؤلاء المنصرين.هذا كله يعكس لنا عدة قضايا جوهرية يمكن حصرها في النقاط التالية:

-المشاريع المتعددة للكنيسة ومن وراءها البابوية الرامية إلى تنصير المنطقة.

-تشبع أبناء المنطقة بعقيدتهم المسيحية والوقوف في وجه هذه المخططات.

-محاولة ضرب الإسلام من الداخل وذلك بتعلم اللغة العربية.

-زيارة منطقة المغرب من طرف هؤلاء المنصرين والدخول في مناظرات بالعربية للتشكيك في الديانة الإسلامية.

-كان الهدف من تعلم اللغة العربية هوالتنصير وليس التحصيل العلمي.

هوامش البحث:

[1] نادية عبد الغني البرماوي ،أسس المنهج التبشيري ودعائمه عند رايمون لول،كلية الآداب ،جامعة المنونية،ص 1139- 1140

[2] jacelyn Nigel Hillgar :Ramon Lull on essay in the encyclopedia of philosophy,vol 5 ,editor chief by paul edwards,vils102,new york,1972,p108 .

[3] E :Royston pik,Dictionnaire des réligions,adaptation fransaise,presses universitaires,paris,1954,p196.

[4] جورج طرابيشي ،معجم الفلاسفة (مادة ريمون لول)،دار الطليعة للطباعة والنشر،ط.2،بيروت،لبنان،1997،ص603.

[5] حسين ممدوح ومصطفى شاكر ،الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري،دار عمان ،ط.1998،1،ص416.

[6] Royston Pik,op.cit,p197.

[7] جورج طرابيشي ،المرجع السابق،ص 603.

[8] عبد المنعم الحفني ،موسوعة الفلسفة والفلاسفة،مكتبة مدبولي،القاهرة،1997،ج.1،ص1177.

[9] صموئيل زويمر،حياة ريموند لول ،ترجمة ،خليل رزق ،القاهرة،1914،ص28.

[10] حسين ممدوح ،المرجع السابق ،ص417.

[11] نفسه ،ص417.

[12] أبو عمران الشيخ ،رايمون لول في بجاية ،مجلة الأصالة،ع.19،وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،1975،ص150.

[13] خايمي الأول: 1208م-1276م ملك أراغونة من (1213م-1276م),

[14] محمد العمارتي ،الأندلس برؤى استعرابية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،1971،ص128.

عدنان خلف سرهيد الدراجي ،التأثير الحضاري المتبادل ،بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية خلال عصر سلطنة غرناطة،دار حمثيرا للنشر والترجمة،2018،ص333

[15] محمد العمارتي ،المرجع السابق ،ص129.

[16] نفسه ،ص128.

[17] - Clara Maillard :LesPapes et le maghreb aux 13eme et 15eme siecles etude des lettres pontifcales de 1199a1419 ,brepols publishres,belgium,2014,p160.

[18] Georges.C.Anawati:**La Recontre de deux cultures en occident au moyen age**,dialogue islamo-chrétien et activité missionaire,studia-lulliana-vol29-f2,El-cairo1989,p175.

[19] A.Berthier :Les écoles de langues orientales fondées au 13[e] siécle par les dominicains en Espagne et en Afrique,dans revue africane,73,1932,p84-103.

[20] A.Berthier,Op.Cit,p84

[21] Ibid,p103.

[22] Ibid,p104.

[23] Ibid,p105.

[24] Clara Maillard,Op.Cit,p160.

[25] Ibid ,p163.

[26] صموئيل زويمر ،المرجع السابق ،ص 51.

[27] حسين ممدوح ،المرجع السابق،425.

[28] محمد العمارتي ،المرجع السابق ،ص 124.

أحمد رنيمة ،الإسلام والحركة الإنسانية في أوروبا،صورة الإسلام خلال القرنين 16م-17م،رسالة دكتوراه،اشراف،دحو فغرور،جامعة وهران،قسم[29]

التاريخ والحضارة،كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية،2010-2011،ص110.

[30] نفسه،ص150.

[31] نفسه،ص154.

[32] نفسه،ص151.